

هجمات الناوكية الأتراك على الأراضي البيزنطية

في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الميلادي

الدكتورة
سهام
عبد العظيم
بيومي*

* بكالوريوس في التاريخ من جامعة الإسكندرية عام ١٩٩١م.
- ماجستير في تاريخ العصور الوسطى من جامعة المنيا عام ١٩٩٧م.
- دكتورة في التخصص نفسه والجامعة نفسها عام ٢٠٠١م.
- تعمل الآن أستاذاً مساعداً بقسم التاريخ في جامعة الملك عبدالمزیز بجدة .

ظهر في القرن الحادي عشر ما يسمى فرق المغامرين الأتراك. ولقد تعددت غاراتهم على الحدود البيزنطية بغية النهب والسلب والحصول على الأقوات والمأوى، وأحياناً جاء نزوحهم في اتجاه بيزنطة هرباً من السلاطين السلاجقة.

ونستشهد بمقولة إبراهيم ينال^(١) وهو أحد إخوة السلطان السلجوقي طغرلبيك^(٢) التي وجهها إلى الغز الذين قصدوا نيسابور عام ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م، فقال: «هذه البلاد خربت وما تحملكم، اطلبوا بلاد الروم فهي أحمل لكم». وبالفعل توجهت تلك الجماعات إلى أراضي الدولة

(١) إبراهيم ينال: هو أخ للسلطان طغرلبيك من أمه، وكان يلقب بسيف الدولة. قاد حملات كثيرة ضد البيزنطيين، وثار ضد أخيه مرتين، عفا عنه في المرة الأولى وفي الثانية قتله.

سبط بن الجوزي. مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج ٩، مخطوط بدار الكتب المصرية، تحت رقم ٥٥١ تاريخ، ورقة ١٦. ابن الأزرقي: تاريخ الفارقي؛ حققه بدوي عبد اللطيف، ط بيروت، ١٩٧٤م، ص ١٥٦.

(٢) طغرلبيك: هو محمد بن ميكائيل بن سلجوق، أول ملوك بني سلجوق، وهو الذي بنى لهم دولتهم. حكم خمسة وعشرين عاماً ومات عن عمر يناهز السبعين. العيني. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج ٢٠، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢٠٣ ح، ورقة ٢٨٩.

البيزنطية فتهبوا وسلبوا الكثير، وأحدثوا حالة فزع للبيزنطيين على حدودهم^(١). تختلف غزوات تلك الفرق على الحدود البيزنطية عن الحملات السلجوقية النظامية التي قادها السلاطين السلاجقة أنفسهم، على الرغم من أن تلك الفرق والجيش السلجوقي ينتمون إلى جنس تركي واحد^(٢).

كانت فرق المغامرين متفرقة، ليس لها تنظيم محدد ولا تتحرك في تشكيلات منظمة، عكس الجيش السلجوقي النظامي الذي يسيطر عليه قاداته وربما قاده السلطان بنفسه، فقد كان جنوده منضبطين لدرجة كبيرة حتى أنهم "لم يتعرضوا لمال أحد ولا سبوا حرمة أحد"، مثلما جاء في وصف جيش السلطان ألب أرسلان^(٣) عند

(١) عرض شاكر مصطفى في مقالته عن دخول الترك إلى بلاد الشام لفكرة أن طغرلبك استغل ضغط جموع التركمان على الأراضي البيزنطية لتنفيذ مشروعه لغزو الشام ومصر، وتستبعد الباحثة أن يكون هذا هدفه، خاصة أن السلاجقة كانوا قريبي عهد بالإسلام ومتحمسين للجهاد ضد القوى البيزنطية. شاكر مصطفى: دخول الترك والغز إلى الشام. أبحاث المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام - بيروت، ١٩٧٤م، ص ٣٢٢. وصف سلاطين السلاجقة أنفسهم بسلاطين الإسلام وانشغلوا بإعلاء كلمة الدين وتوسيع ديار الإسلام. بارتولد. تاريخ الترك في آسيا الصغرى؛ ترجمة أحمد السعيد سليمان - القاهرة، ١٩٩٦م، ص ١٢٧.

(٢) السلاجقة ينسبون إلي جدهم سلجوق بن دقاق. نزلوا على بيغو ملك الترك ثم دخلوا الإسلام وغزوا الترك الكفار، عبروا نهر جيحون وتفرقوا في نواحي خراسان، وانفصلوا عن بني جلدتهم وأصبحوا يعرفون باسم الترك الغزية. للمزيد انظر: ابن الوردي. تاريخ بن الوردي، ج ١ - بيروت، ١٩٩٦م، ص ٣٣٥-٣٣٦.

(٣) ألب أرسلان: هو محمد بن داود بن جفري بك بن ميكائيل بن سلجوق، وكنيته أبو شجاع، ومعنى اسمه أسد شجاع. وهو ابن شقيق طغرلبك وتولى بعده وكان منذ اعتلائه السلطة مجاهدًا ضد الروم. انتصر عليهم في معركة (ملاذكرد) مينيكرت ٤٦٣هـ / ١٠٧١م ومات مقتولاً، ولهذا يطلق عليه وزيره نظام الملك لقب السلطان الشهيد. الحسيني. زبدة التواريخ - ط ٢ - بيروت، ١٩٨٦م، ص ٧٧. حمد الله مستوفي القزويني. تاريخ كزیده، رسالة ماجستير، إعداد محمود قشطه، جامعة عين شمس ١٩٦٨م، ص ٦٧. الذهبي. سير أعلام النبلاء، ج ١٨؛ تحقيق شعيب الأرنؤوط - ط ٨ - بيروت، ١٩٩٢م، ص ٤١٤-٤١٥. نظام الملك الطوسي: سياست نامه أو سير الملوك؛ ترجمة يوسف حسين بكار - ط ٢ - الدوحة، ١٩٨٧م، ص ٢٠٣.

نزوله الشام. وتذكر المصادر أن عسكره العظيم لم يأخذ علقه تب من فلاح إلا بثمانه^(١)، وكانوا على هذه الصورة يخالفون تماماً فرق المغامرين الأتراك الذين كانوا يجتاحون في غزواتهم كل شيء وكانوا أقل انضباطاً، ولعل افتقار تلك الفرق إلى وطن يعودون إليه أو خلافهم مع القوى المركزية الممثلة في السلطان، هو ما جعلهم لا يخشون شيئاً، فجاءت غزواتهم تحمل العنف والدمار^(٢). وقد اضطر البيزنطيون إلى دفع إتاوة لتلك الفرق المغامرة كي يكفوا عن غزو أراضيهم^(٣).

ومن فرق المغامرين الأتراك التي اجتاحت الأراضي البيزنطية أكثر من مرة، فرقة الناوكية^(٤)، وهي فرقة أغلبها من التركمان^(٥)، بالإضافة إلى بعض بقايا جيوش الدول التي قهرها السلاجقة ممن انضموا إلى تلك الفرقة ورفضوا الانصياع للحكم

(١) شاعر مصطفى. دخول الترك، ص ٢٤٩.

(٢) شاعر مصطفى. دخول الترك، ص ٣٥٦. ويذكر ولیم الصوري أن هناك فروقاً بين القبائل التي ظلت محتفظة بطابعها الخشن الفطري وبين الجماعة التي نصبت عليها ملكاً، وأصبحت الأولى تعرف باسم التركمان، بينما تعرف الثانية بالترك. ولیم الصوري. الحروب الصليبية، ج ١؛ ترجمة حسن حبشي، ط الهيئة العامة للكتاب - القاهرة، ١٩٩١م، ص ٧٩.

(٣) ابن الأثير. الكامل في التاريخ، ج ٩ - ط ٠ - بيروت، ١٩٦٦م، ص ٢٢٣.

(٤) الناوكية وتكتب أحياناً الياوكية وتكتب عند العيني اللاوكية في بعض المواضع، ويذكر البعض أن هذا الاسم لم يظهر في ديوان لغات الترك للكشغري. وفي رأيي أن هذا الاسم ربما مشتق من بادئة عربية هي نأى أي بعد وخرج عن الجماعة وتلحق بها لازمة تركية فأصبحت ناوكية وهذا ما ترجحه الباحثة أن الاسم في حد ذاته يعني البعد والتمرد والخروج على السلطان فهم المتمردون الخارجون على السلطة وهذا هو رمز توحدهم. العيني: عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٣٧١. شاعر مصطفى. دخول الترك، ص ٣٤٩. سهيل زكار. إمارة حلب، سوريا: ط دار الكتاب العربي، د.ت، ص ١٥٩ أيضاً: Cahen, "La campagne de Mantzikart d'apr s les sources musulmanes", in Byz., T. IX (1943), p. 27.

(٥) يذكر نظام الملك عن التركمان أنهم على الرغم من النفرة و الملاله من التركمان وكثرة عددهم فإن لهم حقاً ثابتاً على الدولة؛ إذ أسهموا في خدمتها إبان قيامها. نظام الملك الطوسي: سياست نامه، ص ١٤٣.

السلجوقي ووجدوا في فرقة النواكية المعارضة والخارجة على السلطان ملجأ لهم. وبهذا كان التمرد والعصيان ضد السلطان والحكم السلجوقي هو الرابطة بين أعضاء تلك الفرقة، فقد يرفض قائد أو محارب تنفيذ أمر سلطاني وجهه له السلطان أو يرتكب جريمة ما ويخشى العقاب، فيعلن هو وفرقته العصيان والتمرد ويفروا من وجه السلطان قاصدين الأراضي البيزنطية أو أعالي العراق أو الشام^(١). وقد عرفت تلك الفرقة وتحركاتها من خلال قادتها أو زعمائها، ومن أوائل هؤلاء هارون بن خان^(٢) الذي دخل الشام هو وفرقته عام ٤٥٦هـ/١٠٦٣م/١٠٦٤م، تلبيةً لدعوة عطية المرداسي^(٣) له في هذا العام، ليساعده في صراعه ضد ابن أخيه محمود المرداسي^(٤).

(١) سهيل زكار. الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية، ج ١ - دمشق، ١٩٩٥م، ص ١٢٧.
(٢) هارون بن خان يذكره ابن العديم بأنه سار مغاضباً لأبيه ملك الترك فيما وراء نهر جيحون، ولم يذكر اسم والده ووصفه بالشجاعة وأنه كان عاقاً فاتكاً. توفي عام ٤٦٢هـ ولقب ابن خان يوحى بمكانته وإن كان الغموض يكتنف الكثير من جوانب حياته للمزيد انظر: ابن العديم. زبدة الحلب في تاريخ حلب؛ تحقيق سهيل زكار، ج ١ - ط دمشق ١٩٩٧م، ص ٢٠٠؛ سبط بن الجوزي. مرآة الزمان؛ الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة (١٠٥٦-١٠٨٦م)؛ علق عليه علي سويم - أنقرة، ١٩٦٨م، ص ١٠٠ - ١٠١. أحمد الحريري. الإعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاحين على ديار المسلمين؛ تحقيق سهيل زكار - دمشق، ١٩٨١م، ص ٣٠. سهيل زكار. الموسوعة، ج ١، ص ١٢٦.

(٣) عطية المرداسي. شارك أخاه ثمال في حرب البيزنطيين وأوصى له أخوه بحكم حلب ونازعه ابن أخيه محمود على حكمها فاستعان عطية بالبيزنطيين ضده ومات عام ٤٦٥هـ/١٠٧٢م في القسطنطينية بعد أن لجأ إلى البيزنطيين. ابن كثير. البداية والنهاية، ج ١٢، ص ١٥، العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٤٦٥.

(٤) محمود المرداسي. حكم حلب عدة مرات ونازعه عماء ثمال ثم عطية على حكمها، وتعتبر فترات حكمه لحلب من أهم الفترات في تاريخ حلب. تولى من (٤٥٧-٤٦٧هـ) (١٠٦٥-١٠٧٥م) وعُرف بذي الحسين؛ لأن أباه من بني كلاب وأمه من نمير، وله عدة ألقاب منها الأجل، وشرف أمراء العرب. دان بالطاعة للفاطميين ثم للسلاجقة. ابن العديم. زبدة، ج ١، ص ٢٥٣ أيضاً؛ سهيل زكار. مدخل، ص ١٣٢-١٣٣.

ويهمنا أن نستعرض العناصر المكونة لفرقة الناوكية، من خلال عرض لفئات جيش ابن خان. يذكر ابن العديم أنهم كانوا من الترك والديلم والكرد والأوج^(١)، وكانوا مطاردين من قبل النفوذ السلجوقي، وهذا سبب دخولهم إلى جنوب الشام، وبلغ عددهم حوالي ألف فارس^(٢).

وفي طريقهم إلى الشام اضطرت الناوكية إلى عبور الأراضي البيزنطية، وسمح لهم البيزنطيون بالعبور بناء على طلب عطية المرداسي حليف البيزنطيين، بل وأمدوهم بالخلع والدنانير إكراماً لعطية المهادن لهم^(٣).

ولعل البيزنطيين دفعوا المال للناوكية درءاً لشُرهم حتى لا ينهبوا البلاد كما اعتادوا، فقد اشتهروا بالسلب والنهب لكل ما يمرون به، فأراد البيزنطيون التخلص منهم بإفساح الطريق لهم للعبور إلى الشام.

وقد أورد العيني أن ابن خان وجماعته، التي يرى أنهم نحو خمسمائة غلام، كانوا حسب تعبيره "في الثغور مترددين وبما يأخذونه من الروم [...] متقوِّين"، وإنهم لما قدموا على عطية قرر لهم في كل شهر أحد عشر ألف دينار^(٤)، كما تحدث في موضع آخر عن "إخرا ب التركمان" لبلاد الروم ونهبها وزيادة أسعار الأشياء نتيجة هذا حتى بيع الخبز بدينار^(٥).

خاب ظن البيزنطيين في أنهم تخلصوا من تهديد تلك الجماعة لحدودهم،

(١) الأوج : فئة من المسلمين الذين يسكنون مناطق الثغور الإسلامية البيزنطية. ابن العديم. زبدة، ج٢، ص ٢٥٤.

(٢) محمود شاكر. دخول الترك، ص٣٤٩. سهيل زكار: إمارة حلب، ص١٥٨.

(٣) ابن العديم: زبدة ج١، ص ٢٩٤ ؛ أيضا : C.M.H.vol.1 p: 259

(٤) العيني. عقد الجمان، ورقة ٢٨٩.

(٥) العيني. عقد الجمان، ورقة ٣٣٥.

فالأحداث أثبتت العكس؛ ذلك أن عطية المرداسي بعد أن انضمت إليه الناوكية تشجع وقوي وخرج على حلفائه البيزنطيين، واستخدم جماعة ابن خان في فتح حصن كمنون عام ٤٥٧هـ / ١٠٦٥م وسبي أهله، وعاد إلى حلب غانماً^(١). وبذلك كانت الناوكية عاملاً مشجعاً ومحرضاً لعطية المرداسي على عدااء البيزنطيين ومحاربتهم وأخذ الحصن منهم. ومن الأمور المهمة أن السلاجقة عامةً اشتهروا بأنهم قوة إسلامية فتية ترفع راية الجهاد، ويمكننا أن نضع هذا الهدف كذلك ضمن أهداف جماعات المغامرين الأتراك بالإضافة إلى باقي الأهداف السالف ذكرها، وإن كنا نستبعد فكرة الفتح والاستقرار على حساب الأراضي البيزنطية لديهم، إلا أن هذا لا ينفي فكرة الجهاد عندهم. ولم يستمر الوفاق والتعاون بين الناوكية وعطية المرداسي؛ إذ لم يلبث أن انقلب عليهم وحرّض ضدهم أحداث حلب، فقتلوا جماعة من أصحاب ابن خان عام ٤٥٧هـ / ١٠٦٤م. فخرج ابن خان من حلب متجهاً إلى الشرق، في حين انفصل عنه جزء من أتباعه وعبروا الجزيرة^(٢).

ورجع الباقيون معه فصادفوا في طريقهم دوقاس أنطاكية - المعروف باسم "البخت" كما ورد في المصادر الإسلامية^(٣) - فأراد البيزنطيون الإطباق على ابن خان

(١) ابن العديم. زبدة، ج ١، ص ٢٩٥.

(٢) ابن العديم. زبدة، ج ١، ص ٢٩٥.

(٣) البخت هو كاشاتور أو خاتوريوس الأرمني Chatatourio وهو قائد مشهود له بالذكاء والنشاط،

كان متولياً حكم أنطاكية وقد واجه السلاجقة أكثر من مرة في عدد من المعارك

History of the Finlay, p.16: also, LXXV, Paris, R.H.C, Michale: Historia, Attaliata, p.17. vol.3, 1977, Oxford, Byzantine and Greek Empire,

أيضاً: فايز إسكندر. موقعة ملاذكرد وصدائها في القسطنطينية - الإسكندرية، ١٩٨٧م، ص ٥١٤.

وجماعته وفتح طريق بينهم للإيقاع بهم، لكن الناوكية استطاعوا العبور من بينهم وقتلوا خلقاً كثيراً منهم، وإن خسروا أعداداً منهم حسب قول ابن العديم؛ مما يدل على أنها كانت معركة قاسية بين الجانبين و لكن الناوكية خرجوا منها منتصرين أو على الأقل لم يتم القضاء عليهم كما خطط البيزنطيون لذلك، مما يدل على قوتهم وتمكنهم من كشف الحيل البيزنطية لتمرسمهم في حرب الحدود البيزنطية وإن خسر الناوكية أعداداً منهم إذ لم يبق منهم سوى مئة وخمسين فارساً فقط كما ورد عند ابن العديم^(١). ونظراً لما قيل من أن تلك الجماعة كانت في حدود ألف فارس فتكون الخسارة كبيرة بعد تلك المعركة. لكن علينا أن نتذكر أن مجموعة منهم كانت قد انفصلت عن الجماعة عند خروجها من حلب، حيث ذهبت هذه المجموعة إلى الجزيرة قبل هذه المعركة المشار إليها مع البيزنطيين، مما يقلل من حجم الخسارة التي لحقت بهذه الجماعة.

لجأ ابن خان بعد ذلك إلى محمود المرداسي واستنهضه لأخذ حلب نكاية في عمه عطية لما فعله به وبجماعته. وبالفعل تحرك محمود المرداسي نحو حلب واستطاع أخذها بمساعدة الناوكية^(٢) فأقطع محمود المرداسي معرة النعمان لهارون ابن خان مكافأة له على مساعدته له في استعادة حلب، فدخل ابن خان المعرة عام ٤٥٨هـ / ١٠٦٥م وكان معه حوالي ألف رجل مع حاشيتهم وأتباعهم وتعفّفوا فيها عن الأذية حتى سقوا دوابهم الماء بثمره ثم نقل إلى حلب وعوض عن المعرة بمال^(٣).

(١) ابن العديم. زبدة، ج ١، ص ٢٩٥. ابن خلدون. العبر وديوان المبتدأ والخبر - بيروت، ١٩٦٨م، مجلد ٤، ص ٥٨٧.

(٢) ابن العديم. زبدة، ج ١، ص ٢٥١. ابن خلدون: العبر، مج ٤، ص ٥٨٧.

(٣) ابن العديم. زبدة، ج ١، ص ٣٥٢-٣٥٤. ابن القلانسي. تاريخ دمشق؛ تحقيق سهيل زكار - دمشق، ١٩٥٣م، ص ١٥٧. ويذكر ابن الوردي أن ابن خان أقطعت له المعرة في عام ٤٥٧هـ وأنه أخذها حرباً وخراجاً. للمزيد انظر: ابن الوردي. تاريخ، ج ١، ص ٣٥٩.

وهنا نورد ما ذكره العيني عن رد محمود المرداسي على خطاب الخليفة الفاطمي إليه عام ٤٥٩هـ / ١٠٦٦م عندما طلب منه صرف الغز الذين عنده فجاء جوابه «وأما ابن خان والغز الذين معه فيدهم فوق يدي وإنما استخدمتهم مصانعةً لهم وكفاً لفسادهم»^(١) وهذا الرد ربما لتضليل الخليفة عن تقوي المرداسي بجماعة ابن خان أو رفض مقنع من محمود لطردهم من خدمته أو لنيته طرح طاعة الفاطميين، فقد شعر الخليفة الفاطمي بذلك فأرسل لبدر الجمالي عامله على دمشق يخبره بذلك. استعان محمود المرداسي بالنواكية في أخذ ارتاح^(٢) من البيزنطيين، وتم الأمر بأن قام ابن خان بمحاصرتها لمدة خمسة أشهر، وفتحها بالسيف في شهر شعبان عام ٤٦٠هـ / ١٠٦٧م، وحصل على ما فيها من أموال ومتاع^(٣).

وبلغ القتل والأسر في الروم عند فتح ارتاح ثلاثة آلاف نفس، وفقد البيزنطيون في تلك السنة الكثير من الرجال في الدروب إلى أفامية القريبة من ارتاح. ونظراً لأهمية ارتاح الإستراتيجية - خاصة لأنطاكية - فقد حاول البيزنطيون مصالحة ابن خان على ارتاح وعلى غيرها من بلادهم، حسب ما أشارت إليه المصادر^(٤)، مما يدل على أن ابن خان هاجم مناطق أخرى تابعة للبيزنطيين في ذلك الوقت لكن لم يتم

(١) العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٣١٤.

(٢) ارتاح: قرية من أعمال الشام من الفرات إلى العاص إلى أفامية إلى باب أنطاكية إلى الأتارب بمعنى أنها قرية من أنطاكية، مما يمثل تهديداً كبيراً للبيزنطيين عندما تصبح تحت حكم المسلمين، ويذكر ياقوت أنها قلعة شرق أنطاكية ونقطة حراسة مهمة لقربها من أنطاكية. ابن العديم. زبدة، ج ١، ص ٢٥٦، ياقوت الحموي. معجم البلدان، مج ١ - بيروت، ١٩٥٧م، ص ١٤٠-١٤١.

(٣) ابن العديم. نفس المصدر، نفس الصفحة.

(٤) ابن العديم. زبدة، ج ١، ص ٢٥٦؛ ابن الأثير. الكامل، ج ٩، ص ٢٣٤، الحلي. إعلام النبلاء بتاريخ

حلب الشهباء - حلب، ١٩٢٣م، ص ٢٣٨. أيضاً: C.M.H vol. V p. 262

الصلح إذ يبدو أن البيزنطيين لم يكونوا جادين في عرض الصلح، وحاولوا استغلال الوقت لتحقيق أغراضهم، ولذلك دخلوا في مفاوضات مع ابن خان حتى يدعموا أنطاكية بإدخال إمدادات لها من السويداء^(١) عن طريق البحر، وبالفعل أدخلوا المؤن إليها تحسباً من أن يغزوها ابن خان بعد حصوله على ارتاح^(٢).

وبهذا كان استدعاء محمود المرداسي للناوكية وتشجيعه لهم على القدوم إلى حلب ليستخدمهم في جيشه ويهرب بهم الروم^(٣)، وجاءت حملة الإمبراطور رومانوس الرابع ديوجينيس Romanos IV (١٠٦٨-١٠٧١م)^(٤) عام ٤٦١هـ / ١٠٦٨م على بلاد الشام نتيجة لفتح ارتاح الذي تم على يد الناوكية^(٥).

ومن الأدوار المهمة للناوكية في الصراع الإسلامي البيزنطي دورهم في مساعدة محمود المرداسي في استرداد حصن أسفونا^(٦) عام ٤٦٢هـ / ١٠٦٩م، إذ

(١) السويداء: بلدة في ديار مضر قرب حران بينها وبين الروم، وأغلب أهلها نصارى أرمن وهي ميناء أنطاكية. ياقوت الحموي. معجم البلدان، مج ٢، ص ٢٨٦. أبو الفداء. تقويم البلدان - بيروت: دار صادر، ١٨٣٠م، ص ٢٩.

(٢) ابن العديم. زبدة، ج ١، ص ٢٥٦.

(٣) محمد الشيخ. الإمارات، ص ١٣٤.

(٤) رومانوس ديوجينيس من إقليم قبوقيا وقاد عدداً من الحملات ضد السلاجقة، أما عن وصفه فتذكر المصادر أنه كان طويل القامة ومن أسرة أرستقراطية مرموقة. اتصف بالشجاعة والكرم والعنف.

Scylitzae, Historia, ed. J. P. Migne, PG, T.122, p.391; also, Finlay, History of the Byzantine, vol. 3 p. 25.

(٥) ابن العديم. زبدة، ج ١، ص ٢٥٧.

(٦) حصن أسفونا وأحياناً يكتب أشعوبيا: وهو من قرى المعرة، وكان حاكم أنطاكية قد دخله وقتل من فيه، فلما بلغ محمود المرداسي الخبر وهو يسير في ميدان حلب أسرع ومعه خمسون ألفاً من الترك والعرب وأخذه وقتل من فيه من النصارى. ابن الوردي. تاريخ، ج ١، ص ٣٦١، ياقوت. معجم، مج ١، ص ١٧٩.

قتلوا جميع حامية الحصن من البيزنطيين وكانوا حوالي ألفين وسبعمائة رجل^(١). وبالرغم من كل هذه الأعمال الجهادية من جماعة النواكية إلا أن ذلك لم يقربهم إلى عامة الناس وظلت الفرقة بينهم وبين أهالي حلب قائمة^(٢)، فقد غادر ابن خان حلب بعد أن بلغه اتجاه ألب أرسلان إليها ليضمها إلى أملاكه، فغادرها ابن خان هارباً من السلطان واتجه إلى صور^(٣) وذهب إلى مسلم بن عقيل^(٤) في صور وأقام عنده، فأحسن مسلم إليه. وعندما جاء بدر الجمالي^(٥) وحاصر صور، حدث أن اتفق ابن خان مع بدر الجمالي ضد مسلم وخرج إلى بدر الجمالي فعسكر عنده مما وصفته المصادر أنه "نافق" فـدس عليه بن عقيل غلماناً من غلمانته وقال لهم: قد عرفتم ما فعلت مع صاحبكم من الجميل وما أنفقت عليه من أموال، وما صلح لي ولا جازاني على إحساني إليه. ولكم عليّ إن قتلتموه كذا وكذا من المال. فوثب عليه اثنان منهم فقتلاه عام ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م وحمل رأسه إلى ابن عقيل فطاف به في صور^(٦).

وهنا يورد لنا العيني معلومات مختلفة عن غيره من المصادر؛ إذ يقول إن ابن خان قتل أخاه على صور وعلم فهرب إلى دمشق، ثم عاد إلى السلطان واسترضاه

(١) ابن العديم. زبدة، ج ١، ص ٢٥٨؛ أيضاً محمود شاكر. دخول الترك، ص ٣٤٤.

(٢) محمود شاكر. دخول الترك، ص ٣٥٩.

(٣) سهيل زكار. مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية - بيروت، ١٩٧٢م، ص ١٣١-١٣٢.

(٤) مسلم بن عقيل: وهو مسلم بن قريش. تولى إمارة بني عقيل بعد أبيه، لُقّب بشرف الدولة، وقد أخذ الإتاوة من الروم، وقصد دمشق وحاصرها وكاد يأخذها فبلغه أن أهل حران خرجوا عن طاعته فقصدها وحاربها وفتحها عام ٤٧٦هـ. ابن خلكان. وفيات الأعيان، مج ٥، ص ٢٦٧-٢٦٩.

(٥) بدر الجمالي. أرمني الأصل، وكان أميراً للجيش في دمشق وتولى دمشق عام ٤٥٥هـ. دخل مصر عام ٤٦٦هـ ولقب تاج الأمراء المظفر مقدم الجيوش. ابن القلانسي. ذيل تاريخ دمشق - بيروت، ١٩٠٨م، ص ٩١-٩٢.

(٦) سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٥٣.

فرضي عنه السلطان^(١). بمعنى أنه يورد حدوث صلح بين ابن خان والسلطان. وقد انفرد العيني بذكر هذه المعلومة وإن كنت لا أستبعد حدوثها؛ لأن هناك حالات مشابهة حدث فيها صلح بين السلطان وواحد من النواكية. على أية حال فقد انتهى ظهور أو ورود أية معلومات عن ابن خان في المصادر في الأحداث التالية.

رحلت النواكية عن صور، وذهبوا إلى بدر الجمالي فتقوى بهم وحاصر صور عام ٤٦٢هـ / ١٠٧٠م^(٢). وهنا لابد من الإشارة إلى حدوث انقسام في فرقة النواكية وإن لم يرد ذلك في المصادر صراحة؛ إلا أن الأحداث التالية تثبتة فحديث ابن عقيل عند التدبير لمقتل ابن خان كان لغلمان من جماعة ابن خان نفسه أي من النواكية فقد ذكر في بداية حديثه إشارة إلى ابن خان بكلمة "صاحبكم".

وعند هذه المرحلة يظهر زعيم جديد للنواكية وهو الأمير قرلو^(٣) مقدم الأتراك المقيمين في الشام، ويذكر أنه ابن شقيق ابن خان ويبدو أنه ورث عمه في قيادة النواكية، وقد راسل ابن عقيل قرلو في أثناء حصار بدر الجمالي لصور يستجده، فसार إليه في اثني عشر ألف فارس. وهنا يظهر دور النواكية في حسم الصراعات بين أمراء الشام، كما يتأكد لنا الانقسام السابق الإشارة إليه في صفوف تلك الفرقة النواكية؛ إذ أن قسماً منها انضم إلى مسلم بن عقيل قاتل زعيمهم ابن خان، وقسم انضم لبدر الجمالي انتقاماً من ابن عقيل، والقسم الأول كان بزعامة قرلو، وحاصر مدينة صيدا، مما مثل تهديداً لبدر الجمالي اضطر معه إلى الرحيل عن صور وكذلك رحل النواكية^(٤).

(١) العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٣٧٠.

(٢) سبط بن الجوزي. نفس المصدر نفس الصفحة.

(٣) قرلو: يصفه ابن ميسر أنه مقدم الأتراك القادمين من العراق، وتذكر المصادر أنه ابن شقيق ابن خان. للمزيد انظر: ابن ميسر. أخبار مصر، ج ٢، ط القاهرة ١٩١٩م، ص ٢٠. الحسيني. زبدة، ص ١٤٩، ابن الأثير. الكامل، ج ١٠، ص ٤٠، أيضاً: سهيل زكار. إمارة حلب، ص ١٥٨.

(٤) ابن الأثير. نفس المصدر، نفس الصفحة، ابن ميسر، نفسه.

وبعد أن جاء خبر أسر ملك الروم، ارتبط محمود المرداسي بألف غلام من التركمان، وذلك بعدما خرج عطية المرداسي قاصداً حاكم أنطاكية البيزنطي وتعاون معه، وخرجاً معاً وهاجموا معرة مصرين من قرى ظاهر حلب، وحرقوا أجزاء منها وقتلوا من قدروا عليه. وورد في هذا الوقت خبر هزيمة الإمبراطور البيزنطي، وأسره على يد السلاجقة في معركة مينزيكرت ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م فعاد حاكم أنطاكية وفشل الهجوم^(١).

بعد أن بلغ محمود المرداسي تحرك عمه عطية مع حاكم أنطاكية ضده، طلب معاونه النواكية وبالرغم من فشل هجوم عمه إلا أن محمود المرداسي ارتبط بالتركمان كما أشارت المصادر وأقام عنده ألف غلام منهم، بينما سار الباقون إلى الشام^(٢).

سار جزء من النواكية إلى الشام فنزلوا على حصن نعمان وفيه ذخائر العرب وأموالهم فملكوها، وملك التركمان الشام بأسره وجاءوا إلى الرملة وهي خراب فجلبوا إليها الفلاحين وعمروها وخصصوا جزءاً من زيتونها إلى السلطان بما يعادل ٣٠ ألف دينار، وقرروا قسمة البلاد. وقد أورد العيني هذه الأحداث في عام ٤٦٤هـ/ ١٠٧٢م^(٣). ففي هذا العام استطاع بدر الجمالي استمالة معظم النواكية إلى صفه وأدخلهم في خدمته واستخدمهم ضد القبائل العربية في فلسطين، فقاموا بطرد العرب ونهبوا الشام وطلبوا من بدر الجمالي المال وهو مقيم في عكا فرد عليهم: «ما عندي مال وما سلطتكم على العرب إلا أنكم تقنعون بنهبهم وما اقتطعتكم من الشام، فقالوا نحن أخذنا البلاد بسيوفنا»^(٤).

(١) سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٥٣.

(٢) استنجد محمود بالنواكية وكانوا نازلين فيما بين طرابلس وحمص. سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٥٣، أيضاً محمود شاكر. دخول الترك، ص ٣٥٩.

(٣) سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٥٣. العيني. عقد الجمان، ج ٢، ورق ٣٩١-٣٩٢.

(٤) سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٥٣. العيني. عقد الجمان، ج ٢، ورقة ٣٩١.

ثم نزل الناوكية على طبرية واقتسموا البلاد وأخذوا الغلال. فراسل بدر الجمالي العرب بالرجوع إلى الشام وأنه يؤيدهم بنفسه وماله فاجتمع من العرب خلق عظيم وعرف الناوكية كثرتهم فكرهوا لقاءهم وعادوا إلى طبرية ونزلوا طرابلس^(١). عاد الناوكية إلى حلب بناء على طلب أميرها لمساعدته ضد الروم وبذل لهم أمير حلب العطاء، فجاءه جزء من الناوكية تحت زعامة قزلو التركي عام ٤٦٥هـ/١٠٧٢م، وحدث ذلك عندما كان الناوكية في جنوب الشام يحاولون الاستيلاء على فلسطين فقبلوا بدعوة محمود المرداسي، وجاءوا إليه وتمكن بمساعدتهم من صد البيزنطيين وإيقاف أعمالهم ضد إمارته، وأخذ الرحبة من مسلم بن قريش العقيلي في نفس العام.

وبقى الناوكية لدى محمود مدة ثم سرحهم، فرحلوا بعد أن تركوا عدداً منهم في خدمته، وهؤلاء هم الذين عاونوه عندما أغار البيزنطيون على حلب عام ٤٦٦هـ/١٠٧٣م واستطاع بمعاونتهم صد الهجوم البيزنطي، بل وأكثر من ذلك استولى على قلعة السن^(٢) من البيزنطيين بمساعدة تلك القوات أيضاً^(٣).

(١) سهيل زكار. مدخل، ص ١٥٤.

(٢) قلعة السن: تقع بالجزيرة قرب سميساط وتعرف بسن ابن عطير وهو رجل من بني نمير. ياقوت. معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٠٥.

(٣) عندما أخفق محمود المرداسي في صد البيزنطيين استجبد بالناوكية فهبوا لنجدة، وكان أكبر مقدميهم قزلو، وعندما أنهوا مهمتهم تركوا حلب وعادوا إلى جنوب الشام وتركوا لمحمود المرداسي قوة منهم مؤلفة من ألف فارس مما يدل على أن عددهم كان أكبر من ذلك بكثير، ويذكر المورخون أن مثل هذا الاستدعاء لتلك الفرق كان أمراً معروفاً ويلجأ إليه أمراء الشام وأرمينية وكردستان. ابن العديم. زبدة الحلب، ج ٢، ص ٣١، أيضاً شاكر مصطفى. دخول الترك، ص ٣٩٢، حاشية ١١٩. سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٥٧، أيضاً سهيل زكار. إمارة حلب، ص ١٥٨. محمود شاكر. دخول الترك، ص ٣٣٩؛ سهيل زكار. مدخل، ص ١٥٥.

وحدث أيضاً أن أفشين بن بلججي^(١) وهو أحد قواد النواكية، الذين فروا من غضب السلطان عليه، فجاء إلى الحدود البيزنطية وأثار القلق والفرع بغزواته. وكان سبب غضب السلطان على الأفشين أن أحد أمراء السلطان ألب أرسلان، ويدعى كموشتكين، قتل شقيق الأفشين فتأثر الأفشين لأخيه بقتل كموشتكين وهو سكران، فغضب عليه السلطان ففر هارباً وحشد الأتراك وزحف بهم غازياً وسابياً في اتجاه أنطاكية^(٢).

ثم قام الأفشين بغزو الأراضي البيزنطية، فقاد الكثير من الهجمات دون الحصول على إذن السلطان المغاضب له، وكانت غزوات الأفشين من أكثر الغزوات ضراوة وتدميراً؛ إذ تقول المصادر إنه أنزل ببلاد الروم خراباً لم يسمع بمثله حتى أن الغلات تركت لا تجد من يرفعها نتيجة كثرة الغنائم والمكاسب التي حصل عليها من أرض الروم وترك البيزنطيون بيوتهم، وتحصنوا بالجبال خوفاً من الأفشين، وكان معه حوالي ألف محارب ومغامر من الأتراك وقد هاجم دلوک^(٣) عام ٤٥٩هـ/١٠٦٦م ونهب أنطاكية كذلك^(٤).

أوغل الأفشين في بلاد الروم حتى وصل قيصرية ونهبها، وانحدر إلى قليقيا، ثم دخل أراضي أنطاكية وهاجمها عام ٤٦٠هـ/١٠٦٧م وأوشك أن يفتحها، ولكن تكالبت عليه

(١) أفشين بن بلججي: أحد قادة الأتراك. يذكر ابن العديم أنه بعد غضب السلطان عليه قطع الفرات إلى بلد الروم، وكان شقيقه أميراً لدى كموشتكين وقد بطش به كموشتكين، ويذكره العيني باسم الأفشين التركي. ابن العديم. زبدة الحلب، ج ١، ص ٢٥٥، ابن العبري. تاريخ الزمان، ص ١٠٨. العيني: عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٣٤٣. أيضاً شاکر مصطفى. دخول الترك، ص ٢٤٦ أيضاً: Cahen, La campagne, p.626.

(٢) ابن العبري. تاريخ الزمان، ص ١٠٨. ابن العديم. زبدة الحلب، ج ١، ص ٢٥٥ أيضاً: Cahen, La campagne, p. 626.

(٣) دلوک: بليدة من نواحي حلب بالعواصم. ابن العديم. زبدة، ج ٢، ص ١٠.

(٤) ابن العديم. زبدة الحلب، ج ١، ص ٢٥٥، أيضاً سهيل زکار. مدخل، ص ١٣٧-١٣٨.

عوامل كثيرة هذا العام حالت دون ذلك، منها السيول وتلف المزروعات، واكتفى الأفشين بأخذ الأموال من حاكم أنطاكية وذهب لبيع ما غنمه منها في أسواق حلب^(١)، إذ كانت حلب تمثل مركزاً مهماً وسوقاً لبيع ما يحصل عليه التركمان من غنائم في غزواتهم في الأراضي البيزنطية ويشترون منها ما يحتاجون إليه من مؤن وعتاد^(٢).

أرسل الأفشين إلى السلطان ألب أرسلان يعلمه ما حققه من انتصارات ويسترضيه فعفا عنه السلطان وعاد لحظيرة الطاعة وبعث إليه السلطان كتاباً بأنه راض عنه^(٣). ثم عاد الأفشين إلى بلاد الروم من ناحية الخزر فأقام هناك بأمر السلطان؛ لأنه عاد مع أصحابه ولعله كان يقيم هناك ليهيئ لحملة السلطان المقبلة ضد الروم خاصة أنه خبر طرقهم وجرب غزوهم^(٤).

ولقد هاجم الأفشين عمورية في العام التالي ٤٦١هـ / ١٠٦٨م وهو في طاعة السلطان ودخلها بحيلة ذكية؛ إذ استخدم بيزنطياً شقيقاً لأحد البطارقة كان على خلاف مع الإمبراطور البيزنطي، فقتل الإمبراطور البطريق وفر أخوه، وفي طريقه التقى بالأفشين فاتفقا معاً على التعاون وتسهيل مهمة الأفشين في دخول عمورية نكايةً في الإمبراطور. فذهب البيزنطي إلى أهالي عمورية يحمل صليباً، وأخبرهم أن الإمبراطور أرسله لمساعدتهم ففتحو له الأبواب، وكان الأفشين وجماعته خلفه

(١) سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٣٩. ابن العديم. زبدة الحلب، ج ١، ص ٢٥٥-٢٥٦، ابن العبري. تاريخ الزمان، ص ١٠٩ أيضاً؛

Cahen, La campagne, p. 622; Laurent, M.J., Byzance et les Seldjoudides dans L'Asie Occidentale jusqu' en 1081, Nancy 1913, p. 58.

(٢) سهيل زكار. مدخل، ص ١٣٧.

(٣) سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٣٦. ابن العبري. تاريخ الزمان، ص ١٠٩. ابن العديم. زبدة الحلب، ج ١، ص ٢٥٥-٢٥٦.

(٤) شاكر مصطفى. دخول الترك، ص ٣٤٧.

فدخلوا المدينة وسبى الأفسشين وأخذ من الأموال ما عظم، وأغار على الملك جشار وأخذ منه حوالي ستة آلاف فرس، وجاء إلى أنطاكية فحرب بلدها وحاصرها وقرر عليها عشرين ألف دينار^(١) وكان الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينيس يقود حملة في هذا العام ضد منبج، فلما بلغه خبر سقوط عمورية انسحب عائداً إلى القسطنطينية^(٢).

أما صندوق التركي^(٣) فقد كان أحد حجاب السلطان ألب أرسلان وشارك في معركة مينزيكرت عام ٤٦٣هـ/١٠٧١م مع ألب أرسلان، وتولى الدفاع عن خلاط ومع ذلك فقد اعتبره البعض من المغامرين الأتراك لكثرة غزوه في الروم؛ إذ تذكر المصادر أنه أتى حلب خارجاً من بلد الروم، وبعد أن قضى الشتاء في الشام عاد إلى أرض الروم^(٤).

(١) أما فيما يخص الملك جشار فلم يتمكن من العثور على تعريف له، فربما المقصود به ملك أبخاز المدعو بقرات أو بقراطيس. الحسيني. زبدة، ص ١٠٣. العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٣٤٣. (٢) Zonars, Epitomae Histoiarum, ed. J.P. Migne, P.G.T. 135, p. 263, Attalata: Historiæ Grece, R.H.C, Paris, lxxv, p.146.

أيضاً ابن العبري. تاريخ الزمان، ص ١٠٩، ابن العديم. زبدة الحلب، ج ٢، ص ١٢؛ العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٣٤٣. سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٣٩. أيضاً: Cahen, la campagne, p. 622.

(٣) صندوق التركي: هو من حاشية السلطان ألب أرسلان وأحد حجابه، وكان له دور كبير في معركة مينزيكرت خاصة في الدفاع عن خلاط، ودخل هو وجماعته حلب واجتاح أعمالها وفرض الإتاوات على كثير من القرى، وكانوا شديدي القسوة والتعسف ضد السكان. ابن العديم. زبدة الحلب، ج ٢، ص ٢٥، أيضاً: محمد الشيخ. الإمارات، ص ١٣٤.

(٤) ابن العديم. زبدة، ج ٢، ص ١١. أيضاً محمد الشيخ. الإمارات، ص ١٣٤. ويذكر محمد الشيخ أن هجمات الأتراك على حلب كان لها دور في تحول محمود المرداسي إلى الولاء للسللاجقة والخلافة العباسية. للمزيد انظر محمد الشيخ. الإمارات، ص ١٣٦.

واعتبره بعض المؤرخين الحديثين من الناوكية^(١) على الرغم من أننا نستبعد ذلك؛ لأنه كان من حاشية السلطان ولم يكن يوماً مخالفاً له. وما وقع فيه هؤلاء المؤرخون من خطأ جاء من اعتبارهم كل قائد ينتمي لأصول تركمانية لابد وأنه من جماعة الناوكية، وقد أوضحت في بداية البحث أن تلك الجماعة لم يكن الجنس أو الموطن هو سبب ارتباط أعضائها بعضهم ببعض، وإنما كانت مخالفتهم للسلطان وهروبهم إلى الأراضي البيزنطية في الغالب هي أسباب ارتباطهم وتوحد أهدافهم ومقاصدهم، يغزون ويسلبون، وهو ما جعلهم جماعة لهم هدف واحد واتجاه واحد. وقد قام الإمبراطور البيزنطي بالرد على تلك الاعتداءات على حدوده بحملة قادها ضد خلاط عام ٤٦٢هـ/١٠٦٩م^(٢).

أما أرسيفي^(٣) فهو زوج أخت ألب أرسلان جوهر خاتون^(٤) وكان أرسيفي يعمل

(١) وقد ضم إلى هؤلاء عدداً آخر من قادة الأتراك أمثال أحمد شاه ومحمد بن دملاج للمزيد انظر: شاكور مصطفى. دخول، ص ٢٤٧. سهيل زكار. إمارة حلب، ص ١٦٠، سهيل زكار. مدخل، ص ١٥٥.

(٢) Psellus, The Chronographia, Eng. trans. Sewter, London, 1953, p. 285.
(٣) أرسيفي وهناك من يكتب اسمه رايسفي، ويذكره العيني أرسيفي، والمصادر البيزنطية تذكره باسم كريسكولوس Chrysosculos أو كيدرج وتصفه بأنه شاب قصير القامة قبيح الوجه. سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٤٤-١٥٣. العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٣٧٠-٣٧١. الأصفهاني. دولة آل سلجوق، ص ٢٧. أيضاً:

Bryennii, Historiarum libri Iiv, P.G.T. 127, p.59; Attalita, op. cit, p.27; also, Cahen, la campagne, p.625; Grousset, Histoire de l'Arménie des origines á 1071, Paris, 1947, p.624.

أيضاً: فايز إسكندر. البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملاذكرد، ١٠١٧م/٤٦٣هـ في مصنف تقفوربرينيوس - الإسكندرية: دار نشر الثقافة، ١٩٨٤م، ص ٣٨ - ٣٩، حاشية ٣٩.

(٤) جوهر خاتون أو كره خاتون: كانت عفيفة قتلت في عهد ملكشاه ابن أخيها بعد أن قادت تمرداً ضده. سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٤٧-١٧٦.

في خدمة طغرلبيك وأسهم في القضاء على ثورة البسا سيري^(١) في بغداد عام ٤٥١هـ / ١٠٥٩م، وبعد موت طغرلبيك عمل في خدمة ألب أرسلان وكان من أنصاره، وخطب لألب أرسلان في قزوین عام ٤٥٥هـ / ١٠٦٣م وقاد قواته^(٢).

ثم اختلف أرسيفي مع ألب أرسلان وهرب مع جماعة النواكية وسار في اتجاه الأراضي البيزنطية يريد القسطنطينية، حسب تعبير المصادر، وذلك عام ٤٦٣هـ / ١٠٧٠م حسب مخطوطة العيني^(٣).

أما عن سبب الخلاف بين أرسيفي والسلطان، فتذكر المصادر أن أرسيفي رفض أمر السلطان له بأن يذهب في حملة للغرب، وتخوف بسبب السلب الذي تعرضت له جماعته فهرب إلى الأراضي البيزنطية وسار حتى بلغ سيواس^(٤)، ثم هرب أرسيفي مع النواكية وجاء إلى دريند^(٥) ثم إلى قلعة تحكمها امرأة تدعى

(١) هو أبو الحارث أرسلان البساسيري نسبة إلى قرية بساسير من قرى فارس. كان مقدم الأتراك ببغداد وقدمه الخليفة القائم بأمر الله على جميع الأتراك، ثم ثار ضد العباسيين وخطب للفاطميين في بغداد ذاتها. وقد قضى طغرلبيك على ثورته وقتله عام ٤٥١هـ / ١٠٥٩م. ابن ميسر. أخبار مصر، ج ٢، ص ١١. ابن خلکان. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان؛ تحقيق: إحسان عباس، ج ١ - بيروت، ١٩٦٨م، ص ١٩٢.

(٢) الأصفهاني. دولة آل سلجوق، ص ٢٧. أيضاً: Grousset: L'Armnie, p. 624; Cahen: la campagne, p. 625; Cahen: " la premierepn tration turque en Asie Mineure ", in. Byz., T. (XVIII) 1946 - 1948 , p. 27.

(٣) الأصفهاني. دولة آل سلجوق، ص ٢٧. العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٣٦٦. أيضاً محمود شاكر. دخول الترك، ص ٣٤٩-٣٥٠. أيضاً: Cahen: la premiere, p. 27.

(٤) Cahen: la campagne, p. 625; Grousset: L'Armnie, p. 624.

(٥) دريند: مدينة تقع على شاطئ بحر الخزر الغربي، مرتفعة عن الميناء على جانب جبل، وهي على هيئة مربعة وأعلىها قلعة تحيط بها الأسوار ودعيت باب الأبواب نسبة إلى أبوابها الحديدية التي كانت في أسوارها. سكانها من المسلمين والنصارى واليهود وهي الآن مدينة روسية. البستاني. دائرة المعارف، باب الدال، ج ٧ - بيروت، ص ٦٥٢.

مريم^(١)، وطلب منها عبور أراضيها فرفضت. وبلغه عند ذاك أن الإمبراطور البيزنطي - ظناً منه أنه من الأعداء الغزاة- أرسل فرقة على رأسها القائد مانويل كومنين لقتاله^(٢). أرسل أرسيفي إلى القائد البيزنطي يعلمه أنه ما جاء لحربهم وإنما جاء ملتجئاً إليهم من السلطان، فرد عليه مانويل منكرًا ذلك وقال له: لِمَ أخربت بلادنا وقتلت رعايانا؟ فحلف له أرسيفي أنه لا يقصد عداوتهم وغزوهم، فلم يصدقه ووقع القتال. وبدأت المعركة بهجوم مانويل، وبالفعل حقق نصراً مبدئياً، ولم يكتف بذلك بل قام بمطاردة جيش أرسيفي الذي فر من أمامه، وتابع مانويل مطاردتهم إلى أن وصل إلى قرب معسكر أرسيفي ودارت معركة عند سيواس^(٣) انهزم فيها مانويل وقتل كثير من رجاله، وانتصر أرسيفي وأسر القائد البيزنطي، وقرر عليه فدية لإطلاق سراحه مقدارها سبعون قنطاراً ذهباً حسب قول العيني^(٤).

(١) قلعة مريم: نسبة إلى مريم وهي امرأة يونانية تحكمها، ويقال للقلعة سيمنادو Zamandos ومصادر أخرى ذكرتها باسم قلعة بندر. ابن العبري. تاريخ الزمان، ص ١٠٩. العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٣٧٠.

(٢) مانويل كومنين، كان متولياً لمنصب القائد الأعلى لجيوش الشرق أو praefecturan وكان متحمساً لقتال المسلمين رغبة منه في تحقيق الشهرة والمكانة. وتذكر المصادر البيزنطية أن الإمبراطور حقد عليه وتخوف من طموحه، وذكرت أنه أعطاه جزءاً ضئيلاً من الجيش وأمره بالزحف على سوريا؛ لأن الحسد استولى على قلبه، وإن اختلف برينيوس مع تلك المصادر وذكر أن مانويل كان من المقربين للإمبراطور وعلا نجمه في عهده. ذكره العيني في مخطوطته باسم ميخائيل وهذا خطأ.

Zonars: op.cit , p. 266; Scylitzae: op.cit, p.415; Brynnii: op.cit , p. 31-59 also,

العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٣٧١.

(٣) سيواس: هي بلدة في بسيطة من الأرض، بينها وبين قيسارية ٦٠ ميلاً، وهي بلد تجاري مشهور بين التجار. القلقشندي. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج ٥، ط. دار الكتب، ص ٣٤٩.

(٤) سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٤٦-١٤٧. ابن الجوزي. المنتظم، ج ٨، ص ٢٥٥. العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٣٧١، أيضاً:

Scylitzae: op.cit, p. 414; Attalita: op.cit., p.27, Zonars, op.cit., p. 260.

ولعل هذا العرض السابق يظهر لنا التخطيط العسكري السلجوقي في المعارك، والذي يعتمد بشكل أساس على نصب الكمائن وسحب الجيش المعادي إلى أرض المعركة المناسب للسلاجقة، ثم الالتفاف حول العدو والإيقاع به. وقد أرسل السلطان ألب أرسلان من يتعقب المتمرّد أرسيفي وكلف الأفشين بهذه المهمة فسار حتى بلغ خليج القسطنطينية وأرسل إلى الإمبراطور يطلب منه تسليم أرسيفي والناوكية أعداء السلطان^(١).

وعندما علم أرسيفي أنه متعقب من قبل قوات السلطان عقد مجلساً للتشاور مع قواده وأمر أن يحضر أسيره مانويل هذا الاجتماع، وأخبر أرسيفي مانويل بقصة هروبه وأنه ينوي إطلاق سراحه دون فداء على أن يجيره من الأفشين، وأقنع مانويل أرسيفي بزيارة القسطنطينية والتحالف مع الإمبراطور وساروا معاً إلى العاصمة البيزنطية^(٢).

أحسن الإمبراطور استقبال أرسيفي ورغب في التعاون معه لمحاربة السلاجقة وأنعم الإمبراطور عليه هو ومانويل وأهداه هدايا ثمينة^(٣) وبالفعل برّ مانويل لأرسيفي بوعده، إذ آمنه الإمبراطور ورفض تسليمه إلى الأفشين، ورد الإمبراطور: إننا لانسلم من لجأ إلينا ولا نغدر به. فرجع الأفشين دون أن يحقق هدفه. ولغيظه، وكيداً في الإمبراطور لرفضه طلبه، قام بمهاجمة الروم، ولم يسلم منه حصن منيع

(١) سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٤٧. العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٣٧١.

(٢) سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٤٧. ابن الجوزي. المنتظم، ج ٨، ص ٢٥٥. أيضاً:

Attalita: op. cit., p. 27; also, Cahen: la campagne, p. 626.

(٣)

وهناك من يرى أن الإمبراطور في أول الأمر استقبل أرسيفي استقبالاً فاتراً، وجعله ينتظر أياماً حتى يقابله. للمزيد انظر: فايز إسكندر. البيزنطيون، ص ٣٨ - ٣٩، حاشية ٣٩.

أو بلد كبير، ووصل إلى درب مريم وأقام حتى ارتفع الثلج، وسار إلى خلاط ومعه من الغنائم ما لم يغمه أحد^(١).

وبلغ من ثقة الإمبراطور في أرسيفي أن عهد إليه بقيادة فرقة من الجيش البيزنطي الذي قاده الإمبراطور لحرب السلاجقة، وخرجوا جميعاً، وفي الطريق وتحديداً عند بيثينيا^(٢) توفي مانويل كومنين، وحزن عليه الإمبراطور وكذلك حزن عليه أرسيفي^(٣). وهذا الجيش الذي خرج الإمبراطور على رأسه هو الذي خاض معركة مينزيكرت التي انهزم فيها الإمبراطور وأسر، واندحر جيشه عن آخره. ولا تذكر المصادر شيئاً عن مصير أرسيفي^(٤) وإن وجدت إشارات عن الناوكية مثل ما سبق وذكرناه عن ارتباط جزء منهم بمحمود المرداسي في حلب بعد معركة مينزيكرت، وسار جزء آخر إلى الشام وجاءوا إلى الرملة وأقروا بخراج للسلطان من مزروعات الأرض تصالحاً معه في أغلب الظن.

وقد عاد ظهور الناوكية في أحداث عام ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م، عندما تمردت جوهر خاتون، زوجة أرسيفي وأخت السلطان الراحل ألب أرسلان، على ابن أخيها السلطان ملكشاه

(١) سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٤٧. العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٢٧١ أيضاً؛

Brynii: op. cit., p. 62.

(٢) بيثينيا: من ولايات آسيا الصغرى الخاضعة للبيزنطيين وتشتهر بكثرة مواردها. وليم الصوري. الحروب الصليبية، ج ١، ص ٨٦.

(٣) Zonars: op.cit., p. 266, Scylitzae, op.cit, p. 418.

(٤) أرسل الإمبراطور إلى خلاط جيشاً من المرتزقة الأتراك، ربما كان هذا الجيش يضم فرقة الناوكية أتباع أرسيفي، ولكن يبقى هذا مجرد تخمين لا تمدنا الحقائق التاريخية بما يؤكد. وقد ورد ذكر جيش المرتزقة الأتراك عند أطليالطس، وأطلق عليهم اسم سكيثيين.

Attalita: op. cit., pp. 27-30,

أيضاً: فايز إسكندر: البيزنطيون، ص ٧٣.

(٤٦٥ - ٤٨٥ هـ) (١٠٧٢ - ١٠٩٣ م)^(١) وقصدت محاربته^(٢) وجمعت عساكر النواكية وكان سبب ذلك أن الوزير نظام الملك^(٣) كان قد اقترض منها للسلطان خمسين ألف دينار فجاء لوداعها، فتمردت عليه وهددته وأظهرت أنها تقصد النواكية لترد على ما عولمت به من القبيح، وكانت عند مقتل أخيها قاورت بك^(٤) قد حصلت على الأمان من ابن أخيها ملكشاه، ولكنها انصرفت من الري مستوحشة ونهبت ما مرت به من أعمال^(٥). وربما لا تكون مسألة اقتراض الأموال هي المحرك الأساس لتمرد جوهر خاتون، لكن سوء معاملة ابن أخيها لها، وما ورد عن خبر إعطائها الأمان بعد مقتل أخيها قاورت تشير للتوجس وسوء النوايا بينها وبين السلطان كما أن وجود النواكية في خدمة جوهر خاتون بعد زوجها أرسيفي كان سبباً لقلق السلطان من عمته، بالإضافة؛ لأنها كانت تمتلك من المال ما يتيح لها إقراض السلطان، ومن القوة ما جعلها تجتاح بعض المدن وتخربها. عاد نظام الملك للسلطان وأخبره ما رآه من عمته جوهر خاتون، فبعث وراءها

- (١) ملكشاه: هو ابن ألب أرسلان. تولى بعد وفاة والده وحكم سبع عشرة سنة ومات وعمره ثمان وثلاثون سنة. حمد الله مستوفى. تاريخ كزیده، ص ١٠١. الحسيني. زبدة، ص ١٤٧.
- (٢) سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٤٧. العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٤٥٠.
- (٣) نظام الملك: هو الحسن بن إسحاق، ويعرف بالخواجة نظام الملك. كان والده أحد عمال ديوان سلجوق، وزر لألب أرسلان ولابنه ملكشاه. ولد بطوس عام ٤٠٨ هـ، ووزر لمدة ثلاثين عاماً (٤٥٥-٤٨٥ هـ). اشتهر ببناء المدارس التي نسبت إليه وعرفت بالمدارس النظامية. مات مقتولاً. ابن كثير. البداية والنهاية، ج ١٢؛ تحقيق أحمد أبو ملحم - بيروت، ١٩٨٧ م، ص ١٤٩-١٥١. نظام الملك الطوسي: سياست نامه، ص ١٣-١٥. غياث الدين خواندمير. دستور الوزراء؛ ترجمة حربي أمين - القاهرة، ١٩٨٠، ص ٢٤٥.
- (٤) قاورت بك عماد الدولة أحمد: مؤسس دولة قرمان السلجوقية وشقيق السلطان ألب أرسلان. كان طامعاً في الحكم بعده، مما أدخله في صراع مع ابن أخيه ملكشاه ولكنه هزم وقتل. الحسيني. زبدة، ص ٦٩/ ١٢١-١٢٤.
- (٥) سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٧٣-١٧٦. العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٤٥٠.

مئتي غلام وأمرهم بقتلها. وكانت في عسكر كثير قاصدة أذربيجان والناوكية المتمردين الذين كثر دخولهم وخروجهم إلى بلاد الروم، فجاء من غلمان السلطان سبعة وهجموا عليها في السرادق الخاص بها ففتكوا بها^(١). ويذكر العيني أنها كانت في عسكر عظيم^(٢) ولهذا يبدو أن السلطان تحظر في قتالها، أي تجنب وتحاشى قتالها علانية وأمر باغتيالها غيلة، وقد حمّلت المصادر الوزير نظام الملك مغبة اغتيالها وأنه من أشار على ملكشاه بقتل عمه وعمته^(٣).

وبعد هذه الأحداث تبدأ مرحلة تصفية النواكية - حسب تعبير سهيل زكار^(٤) - ذلك أنهم بدأوا يعملون في خدمة حكام الشام على اختلاف انتماءاتهم واتجاهاتهم، ودخل عدد منهم فلسطين وأقاموا بها وكونوا لهم إمارة خاصة أمثال أسرة أوق الخوارزمي، وهم تركمان وكانوا خمسة إخوة هم قرلو وهو الأكبر وقد سبقت الإشارة إليه، ثم اتسر^(٥)، وشكلي وجاولي والمأمون ونزلوا فلسطين وكان معهم

(١) سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ص ١٧٣-١٧٦.

(٢) العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٤٥١.

(٣) العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٤٦٤.

(٤) سهيل زكار. مدخل، ص ١٥٢-١٥٣.

(٥) اتسر بن أوق، ولقب الإقيسيس وهو ابن أوق الخوارزمي أحد أمراء التركمان، وذكره أبو الفداء باسم يوسف بن أبوق، والعيني في بعض المواضع كتبه أنسر بن أدق. كان من أكبر أمراء ملكشاه، وهو مقدم الأتراك الفز. فتح الرملة وبيت المقدس وضايق دمشق ووصل إلى الفرات. وهو أول من استعاد الشام من يد الفاطميين، وأزال أذان الشيعة قتل عام ٤٧١هـ/١٠٧٨م، ويجمع ابن الأثير والحافظ الذهبي أنه كان من أمراء السلطان ولم يكن مخالفاً له. العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٢٧٩، سبط بن الجوزي. مرآة الزمان، ج ٩، ورقة ٤٤٦. أبو الفداء. المختصر في أخبار البشر، ط القاهرة، ١٣٣٢هـ، ج ٢، ص ١٨٧. ابن شداد. الأعلام الخطيرة في ذكر أمراء الجزيرة؛ تحقيق سامي الدهان - دمشق، ١٩٦٢م، ص ١٧٣-١٧٤. ابن الأثير: الكامل، ج ٨، ص ٣٩٠. الحافظ الذهبي. العبر في خبر من غبر، ج ٢؛ تحقيق فؤاد سيد - الكويت، ١٩٦١م، ص ٢٥٢، الحسيني. زبدة، ص ١٤٩.

حوالي ١٢ ألف فارس وقد استخدمهم بدر الجمالي^(١). ولم يكن مقدراً لتلك الإمارة أن تستمر مع وجود قوى ضاغطة عليها من السلاجقة والفاطميين.

وقد وصلت إلى ملكشاه وفود من بني كلاب تطلب معونته ضد الجماعات التركمانية المنتشرة في الشام، فأرسل أخاه تتش^(٢) إلى الشام، وأقطعه ما يفتحه، وذلك في عام ٤٧٠هـ / ١٠٧٧م. وراسل القوى التركمانية التي على ولاء له أمثال أفشين وصندق التركي لكي تكون مع تتش^(٣).

وفي ختام هذا البحث يمكن القول إن جماعة الناوكية التي ظهرت نتيجة ظروف محددة قد استقر أعضاؤها في جنوب الشام، وكونوا إمارات لهم في فلسطين، وبعدوا عن الحدود البيزنطية التي كثيراً ما اجتاحتها وهددوها بحثاً عن الأرزاق أو المأمن أو المأوى، ولكنهم الآن أصبحوا أكثر أمناً واستقراراً ووفقاً مع السلطان مما حدا بهم إلى السكينة والبعد عن غزو البيزنطيين، وأصبحوا يدفعون الزكاة للسلطان، مما ينهي تمردهم وعداءهم للسلطان، هذا المحرك الأساس في تكوين تلك الجماعة أو الرابطة الحقيقية بينها وهي التمرد والخروج على السلطة المركزية في الدولة ممثلة في السلطان.

(١) ذكر العيني أن اتسز قد تقاتل مع شكلي في الساحل وهزمه ولم يذكر أنهما إخوان. ولكن الحسيني أكد أنهم إخوة وذكر أن أسماء أخويه هما قورلو وشوقليو.

العيني. عقد الجمان، ج ٢٠، ورقة ٤٥١. الحسيني. زبدة، ص ١٤٩. أيضاً شاکر مصطفى. دخول الترك، ص ٣٥١. محمد الشيخ. الإمارات، ص ١٢٨.

(٢) تتش: هو أبو سعيد تاج الدولة تتش ابن ألب أرسلان. وُلد في عام ٤٥٨هـ، وكان حاكماً على سوريا وجزء من فلسطين. الحسيني. زبدة، ص ١٤٨، حاشية ٣.

(٣) شاکر مصطفى. دخول الترك، ص ٣٧٧.

نتائج البحث :

- الجماعة المناوئة من التركمان أي الناوكية يجمعهم العصيان ضد السلطة، أي السلطان. فروا إلى الحدود البيزنطية وهددوها.
- غزوات الناوكية في الأراضي البيزنطية كانت للبحث عن المأوى وهرباً من عقاب السلطان.
- غزوات الناوكية للأراضي البيزنطية مهدت الطريق للحملات السلجوقية النظامية.
- تسببت غزوات الناوكية للأراضي البيزنطية في قيام الأباطرة البيزنطيين بحملات للرد على تلك الاعتداءات على أراضيهم ومحاولة صد الخطر السلجوقي، وجاءت بعض هذه الحملات كرد فعل متسرع من الأباطرة ولم يعدوا لها بشكل صحيح مما أدى إلى فشلها.
- بعد معركة مينزيكرت وبعد أن أصبح للسلاجقة وجود رسمي في آسيا الصغرى اجتاحت الناوكية الشام، واتجهوا إلى فلسطين واستقروا بها وصالحوا السلطان.

قائمة المختصرات الواردة بالبحث

B.Y.Z. : Byzantion.

C.M.H. : Cambridge Medieval History.

R.H. C. : Recueil des Historiens des Croisades

PG. : Partologia Graeca.

قائمة المخطوطات :

- العيني. عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، ج ٢٠ مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ٨٢٠٣ ح
- سبط بن الجوزي . مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج ٩ . مخطوط بدار الكتب المصرية . تحت رقم ٥٥١ تاريخ .

قائمة المصادر والمراجع العربية :

- ابن الأثير. الكامل في التاريخ -٠ طبعة ٠ -بيروت ١٩٦٦م.
- ابن الأزرقي الفارقي. تاريخ الفارقي؛ حققه بدوي عبد اللطيف -٠ طبعة ٠ - بيروت ١٩٧٤م.
- ابن الحلبي . أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء -٠ حلب ، ١٩٢٣م.
- ابن العديم . زبدة الحلب في تاريخ حلب ؛ تحقيق سهيل زكار -٠ دمشق، ١٩٩٧م.
- ابن القلانسي . تاريخ دمشق؛ تحقيق سهيل زكار -٠ دمشق ، ١٩٥٣م.
- ابن الوردي . تاريخ بن الوردي -٠ بيروت، ١٩٩٦م.
- ابن خلدون . العبر وديوان المبتدأ والخبر -٠ بيروت ، ١٩٦٨م.
- ابن شداد . الاغلاق الخطيرة في ذكر أمراء الجزيرة؛ تحقيق سامي الدهان -٠ طبعة ٠ - دمشق ، ١٩٦٢م.
- ابن كثير . البداية والنهاية؛ تحقيق أحمد أبو ملح -٠ بيروت ، ١٩٨٧م.
- ابن ميسر. أخبار مصر -٠ القاهرة ، ١٩١٩م.

- أبو الفداء . المختصر في أخبار البشر -٠ القاهرة ، ١٣٣٢هـ .
- تقويم البلدان -٠ بيروت : دار صادر ، ١٩٣٠م .
- أحمد الحريري . الأعلام والتبيين في خروج الفرنج الملاحين على ديار المسلمين؛ تحقيق سهيل زكار -٠ دمشق ، ١٩٨١م .
- بارتولد . تاريخ الترك في آسيا الصغرى؛ ترجمة أحمد السعيد سليمان -٠ طبعة -٠ القاهرة، ١٩٩٦م .
- الحافظ الذهبي . العبر في خبر من غبر؛ تحقيق فؤاد سيد -٠ الكويت ، ١٩٦١م .
- الحسيني . زبدة التواريخ -٠ ط ٢ -٠ بيروت ، ١٩٨٦م .
- حمد الله مستوفي القزويني . تاريخ كزيده، رسالة ماجستير؛ إعداد محمود قشطة . جامعة عين شمس ، ١٩٦٨م .
- الذهبي . سير أعلام النبلاء؛ تحقيق شعيب الارنؤوط -٠ ط ٨ -٠ بيروت، ١٩٩٢م .
- سبط بن الجوزي . مرآة الزمان الحوادث الخاصة بتاريخ السلاجقة (١٠٥٦-١٠٨٦م) ؛ علق عليه علي سويم -٠ أنقرة ، ١٩٦٨م .
- سهيل زكار . إمارة حلب -٠ سوريا : دار الكتاب العربي ، د.ت .
- مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية -٠ بيروت، ١٩٧٢م .
- الموسوعة الشامية في تاريخ الحروب الصليبية -٠ طبعة -٠ دمشق ، ١٩٩٥م .
- شاكر مصطفى . دخول الترك والغز إلى الشام : أبحاث المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام -٠ بيروت ، ١٩٧٤م .
- غياث الدين خواندمير . دستور الوزراء؛ ترجمة حربي أمين -٠ القاهرة ، ١٩٨٠م .
- فايز إسكندر . البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملاذكرد ، ٤٦٣هـ / ١٠٧١م في مصنف نقفور برينيوس -٠ الإسكندرية : دار نشر الثقافة ، ١٩٨٤م .
- موقعة ملاذكرد وصدائها في القسطنطينية -٠ الإسكندرية ، ١٩٨٧م .

- نظام الملك الطوسي . سياست نامه أو سير الملوك ؛ ترجمة يوسف حسين بكار -٠ الدوحة ، ١٩٨٧ م .
- ياقوت الحموي . معجم البلدان -٠ بيروت ، ١٩٥٧ م .
- وليم الصوري . الحروب الصليبية ؛ ترجمة حسن حبشي -٠ القاهرة : الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٩١ م .

قائمة المصادر والمراجع الأجنبية :

- Attalata, Historiem Grece, R.H.C, Paris, lxxv, p.146.
- Bryennii, Historiarum libri liv, ed. J. P. Migne, P.G.T. 127.
- C. M. H.
- Cahen, le premiere, penetration torque En Asie Mineure, in. Byz. T. (XVIII) 1946-1948.
- La campagne de Mantzikart d'apr s les sources musulamanes', in Byz., T. IX (1943).
- Finlay, History of the Byzantine and Greek Empire, Oxford. 1877.
- Grousset, Histoire de l'Armenie des origines a 1071, Paris, 1947.
- Laurent, M.J., Byzance et les Seldjoucides dans L'Asie Occidentale jusq en 1081, Nancy, 1913.
- Psellus, The Chronographia, Eng. trans. Sewter, London, 1953.
- Scylitzae, Historia, ed. J. P. Migne, PG, T.122.
- Zonars, Epitomae Histoiarum, ed. J.P. Migne, P.G.T. 135.